الفصل الثاني

كلمات في الحب

الحب كالشمس [1] ..

لا تشرق في اليوم الواحد .. مرتين ..

وعمرك .. ليس أكثر من نهار .. واحد ..

وليل .. طويل .. ممتد ..

حين يأتي الحب ..

إفتح له على الفور .. كل نوافذك ..

وبترحاب شديد .. إستقبل أشعته الدافئة ..

واتركها تغمر كل كيانك ..

لأنها عندما تتلاشى ..

لن تجد سوى الكثير ..

والكثير .. والكثير ..

من الظلمة .. والبرد ..

---

(1) - أ.د. حامد طاهر

أحبك ..

كلمة يقولها الرجل للمرأة .. وتقولها الحبيبة للحبيب ..

وهي أشهر كلمات الحب في كل اللغات والثقافات ..

لكن فاعليتها تختلف من شخص لآخر .. حسب طبيعة هذا الشخص ..

بل تختلف تأثيراتها لنفس الشخص .. من وقت لآخر ..

فنفس الكلمة .. قد تكون عادية .. مألوفة .. رتيبة ..

وقد تكون كلمة مختلفة عن غيرها من الكلمات .. جميلة الوقع .. رائعة التأثير ..

وذلك وفقا للطريقة التي تنطق بها ..

والتوقيت الذي تقال فيه ..

والمناسبة التي قيلت فيها ..

وما قد يسبقها من مقدمات ..

والحالة النفسية العامة المصاحبة لقول هذه الكلمة ..

فإذا همس الزوج لزوجته في مطعم مثلا .. أي في مكان عام .. قائلا " أحبك " ..

فلن تتفاعل الزوجة .. مع العواطف التي تحملها هذه الرسالة مع كلمة أحبك ..

بنفس مستوى تفاعلها .. لو قالها الزوج في مكانهما الذي يحمل صفة الخصوصية ..

لأن المكان العام .. سوف يقف حائلا دون انطلاق عواطفها .. لاستقبال الرسالة بكل ما لديها من طرق الإستقبال ..

وهي طرق كثيرة ..

لأن الخصوصية .. سوف تترك لكل عواطفها العنان .. للإستقبال بالطريقة المناسبة لطبيعتها .. ولخبرتها في الإستقبال .. ولشوقها .. وحسب حجم و عمق علاقتها بالزوج ..

وعندما تقول الزوجة لزوجها البخيل .. أنا أحبك ..

ربما سارع يتحسس محفظة نقوده قائلا ..

(في نفسه طبعا) .. يارب استر !! ..

بخلاف المحب الذي يطير فرحا بهذه الكلمة .. فيتمثلها طائرا جميلا .. بجناحين عظيمين .. يحمله ومن ثم يذهب به إلي عنان السماء .. في سعادة ونشوة بالغين ..

فيستقبل هذه الكلمة .. بالإستعداد الفوري لتقديم أي شيء لحبيبته .. بلا تردد ..

إن هذه الكلمة السحرية ليست فقط أربعة أحرف تنطقها الشفاة ..

بل تنطقها العيون في نفس الوقت مع الشفاة .. فيستطيع الطرف الآخر أن يراها في العيون ..

فتكون شاهدة علي صدق ما تقوله الشفاة ..

كما قد يكون هناك إشارات ودلائل أخري .. تؤكد هذه المصداقية ..

فتزداد الوجنتان حمرة .. وتتورد الخدود خجلا ..

وربما جاءت إرتباكات حركات الجسد المرتعشة .. فتؤكد لغة الجسد ما تقوله الشفاة ..

وحتي الطرف الأخر .. المتلقي لهذه الكلمة ..

فإن مدي تأثره بها يرتبط بمدي إحساسه بصدقها ..

وهل هي صادرة من أعماق قائلها .. ومدي حرارتها ودفئها ..

هل فعلا يريد أن يقولها ؟! .. وهل فعلا يعني ما يقول ..

هل هي مطابقة لانفعالاته .. ومشاعره .. التي تترجم تلقائيا علي وجهه ..

وملامحه .. وإشاراته .. وحتي لغة جسده ..

إذا شعر الطرف المتلقي لهذه الكلمة الساحرة .. بكل ذلك ..

فسوف تلامس مشاعره .. وتستثير أحاسيسه ..

فتستقر أثارها في أعماقه .. ويقابلها ربما بدرجة دفء أعلى .. وحرارة أشد ..

ومشاعر أعمق ..

يعمقها أكثر وأكثر مدي صدق مشاعر الطرف الأخر ..

ولكن هل يحدث ذلك فقط في المرة الأولي .. التي يقول فيها الطرف الأول ..

ويتلقاها الطرف الآخر ؟! ..

هل كل هذه التوليفة الرائعة من المشاعر .. تحدث في كل مرة .. يقول فيها طرف ..

ويتلقاها الآخر ؟! ..

هل تستمر هذه العملية من " الإرسال " و " الإستقبال " .. بنفس المستوى من التأثير

والتأثر .. رغم مرور الزمن ؟ ..

نظرا لاختلاف طبيعة البشر بحسب المرحلة العمرية .. والظروف الإجتماعية ..
والحالة النفسية .. والحالة المزاجية ..
ومدى القدرة على مواجهة الضغوط الحياتية المختلفة ..
فإن معدل الحب .. ودرجة التعبير عنه .. تتغير بشكل كبير..
إلا إذا كان الحب الذي يربط الطرفين .. حبا حقيقيا ..
إن معدل السعادة في العلاقة العاطفية .. والإنسجام الروحي بين الزوجين ..

يبدأ في التراجع مع مرور الزمن ..
وربما يتضح ذلك بعد الإنجاب .. حيث لم تعد الزوجة للزوج وحده ..
فهناك طفل في حاجة إلي إهتمامها .. وتفكيرها .. وعواطفها .. ووقتها .. وجهدها ..
كما أن وقوع المرأة والرجل تحت ضغوط عديدة في الحياة اليومية ..
وعدم وجود وقت كاف لهما سويا .. للتواصل .. وإشباع حاجتهما للعواطف والحب ..
كل ذلك قد يؤثر علي مدي إستمتاع الزوج والزوجة .. بنفس القدر من مشاعر الحب ..
إلا إذا كان هناك قدرا كبيرا من التفاهم بين الزوجين ..
تحت ظلال الحب الحقيقي ..
فيمكنهما أن يحولا سلبيات تشتت المشاعر .. وصراخ الطفل .. بل وضغوط الحياة ..
إلي إيجابيات .. وهموم مشتركة يسعى كل طرف إلى تحملها نيابة عن الطرف الأخر ..
في محاولة رومانسية للتضحية في سبيل المحبوب ..
وهو ما يمثل أهم مظاهر الحب الرومانسي ..
فالإنجاب شيء جميل .. ووجود الطفل في حياتيهما شيء مبهج .. وشعور رائع ..
وسعادة لا تقدر .. وقد جاء ثمرة الحب الصادق ..
إنها السعادة الحقيقية ..
فعليهما أن يتعاملا مع الطفل من هذا المنطلق ..
فتزيد مشاعر الحب و المودة بينهما .. بدلا من التشتت ..
و بدلا من التراجع في مدي قوة الحب بينهما ..
ويمكن التوصل لأفضل طريقة للتواصل .. بالحب .. عند معرفة كل طرف لأفضل طرق إستقباله لرسائل الحب من الطرف الآخر..

وهو الأمر الذي يساعد على نمو هذه العلاقة ..

حتى في أوقات الضغط العصبي والإختلافات ..

لكي يمكنهما رعاية و تنمية شجرة هذه العلاقة ..

فتتعاظم مع الزمن ..

بدلا من أن تتساقط أوراقها ..

ورقة بعد الأخري ..

فينتهي الخريف ..

وإذا بنا لا نجد لها أوراقا ..

فقط يكون هناك .. جذع .. عجوز .. يصارع الزمن ..